

أكد في كتاب متميز ثري بالمعلومات الدقيقة أنها  
ثروة حيوية طبيعية وطالب بإنشاء مزرعة خاصة لتربيتها في الكويت

# الفارس يرصد «الأفاعي الصحراوية ذات القرون في البيئة الكويتية»

إعداد: أحمد صابر

في إطار جهود معهد الكويت للأبحاث العلمية المتواصلة لاهتمام بالبيئة ومكوناتها الحيوية المختلفة، ومواصلة لرسالته الهادفة للمحافظة على الكائنات الحيوانية والنباتية وحمايتها ورصدها وزيادة وعي المواطن والمقيم بها، وبأسلوب جذاب يتخذ من المنهجية العلمية أسساً للبحث والتوثيق، أصدر مساعدا الأبحاث في مركز أبحاث البيئة والعلوم الحياتية بالمعهد أسعد الفارس مؤخرًا، «دليل تصنيف الأفاعي الصحراوية ذات القرون في البيئة الكويتية»، ويقع الكتاب في 155 صفحة من القطع المتوسط باللغتين العربية والإنجليزية، كما يحتوي على معلومات نوعية ودقيقة حول أنواع وأماكن تواجد الأفاعي ذات القرون في البر الكويتي، مدعومة بالصور الحية والرسوم التشريحية والتوضيحية لها، ويعد الدليل بمنزلة دراسة علمية رصينة، ومرجعا مهما للباحثين والدراسين في هذا التخصص.

استهل الفارس كتابه بمقدمة لخص فيها مدى حاجة الإنسان للتنوع البيولوجي، مؤكداً أن جميع الأحياء تؤدي لنا خدمات كبيرة، وبدورها تتطلب منا الحماية والتنمية المستدامة، كما أن الأنشطة البشرية أدت إلى تدمير مواطنها الطبيعية، مثل إزالة الغطاء النباتي وتجريف التربة وانتشار التصحر، مما أدى إلى انقراض الكثير من الكائنات الحية وانقراضها، ومضحا أن الحاجة أصبحت ملحة في الكويت لرصد وتوثيق تلك الكائنات وتوثيق معلومات دقيقة عنها، وقد اختار الكاتب الأفاعي الصحراوية ذات القرون «c. cerastes»، عينة ومادة للبحث لتنوعها وانتشارها في البر الكويتي.

3000 نوع

ويفتح الكاتب الفصل الأول بتعريف الأفاعي، مشيراً إلى أنها من طائفة الزواحف والحوانات الفقارية التي تتميز بقدرتها على التكيف والتعايش في مختلف البيئات خاصة الصحراوية، وهي كائنات خجولة تهرب بمجرد رؤية الإنسان ولا تسلخ إلا عندما تثار أو تؤذي، كما أنها تتغذى على الجرابيع والفئران والحشرات والضفادع، لافتاً إلى أن هناك بين 2900 و3000 نوع من الأفاعي تم



غلاف الكتاب



أسعد الفارس

اكتشافها واعتمادها حتى الآن، منها 270-400 سمًا، مشيراً إلى أن السلوك والتشريح الفسيولوجي وهندسة الحراشف في الجسم تعد الوسيلة الأسهل للتمييز بين مختلف تلك الأنواع، بالإضافة إلى أن الغطاء المحيط بجسم الثعابين «الجلد والحراشف» غير دائم ومتجدد باستمرار، ويقدم لحة سريعة عن التمايز في شكل الحراشف، مبيهاً أن منها حراشف الرأس، والجسم، والبطن والذيل، ومنتصف الظهر وغيرها.

## الأفاعي الكويتية

ومن العام إلى الخاص، ينتقل الفارس في ختام الفصل الأول إلى الكويت، ليحيط رحاله في الصحراء الكويتية، ويرصد شتى أنواعها، ويؤكد أن المشكلة الأساسية لدى معظم الناس تكمن في عدم التمييز بين الأفاعي السامة وغير السامة، ويشير إلى أن بيئة الكويت البرية أو البحرية مناسبة لحياة أنواع محددة من الأفاعي، منها ما يلي:

● «الأفعى العمياء»: وهي غير مؤذية للإنسان ويبلغ طولها من 12-17 سم.  
● «بوا الرمل»: وتسمى «الدساس» لأنها تدفن نفسها تحت الرمال وطولها 50 سم.  
● «الثعابين ورقي الأنف»: وهو غير سام ويتراوح طوله بين 30 و40 سم ويطلق فحيحاً عالياً عندما يشعر بالخطر.

● «ثعابين الفئران»: ويعرف بالثعابين الأرقط البطن كما أنه غير سام ويسكن في المناطق الصحراوية والمهجورة ويبلغ طوله من 70-95 سم.  
● «ثعابين الرمل الفحاح»: وهو سام، ولكنه غير خطير، ويتراوح طوله بين 70 و90 سم ويسمى «ابو السور» ويطارد السحالي الصغيرة والطيور والقوارض.

● «الكوبرا الكاذبة»: وتسمى الأفعى العربية خلفية الأنياب، وهي سامة نسبياً ويبلغ طول الجسم من 70-80 سم، وتنتشر في الصحراء والأودية الغنية بالاشجيرات.

● «الكوبرا العربية»: يتراوح طولها بين 120 و150 سم وهي سامة وسببها تسريع التأثير ويؤثر في الأعصاب.  
● «الأفعى الصحراوية السوداء»: وتسمى بالكوبرا المصرية، ويصل طولها أحياناً إلى 1,4 متر، ولونها أسود لامع واكتشفت عينة واحدة منها في الكويت.  
● «الأفاعي البحرية»: وتعد من الأنواع السامة وتعيش في شواطئ المياه بالكويت.

## ذات القرون

ويبدأ المؤلف الفصل الثاني من الكتاب بلمحة عن الأفاعي ذات القرون، ويوضح أنها تندرج تحت اسم عائلة أفاعي الغبير كما أنها خشناء يجرشن بعضها بعضاً ولها قرنان قابلان للذني فوق العينين، ودقيقة العنق عريضة الرأس وتظهر بكثرة في الصيف

القرون، مبيهاً أن طولها يبلغ 80 سم وتغطي رأسها حراشف مقلوبة، ويتباين لونها وفقاً للبيئة التي تعيش فيها، ما بين الرمادي والبني والأسود وأحياناً السوردي، وتكثر في جنوب غرب السعودية واليمن وشمال أفريقيا وفي سيناء بمصر، بالإضافة إلى أنها كائنات مفترسة كاملة تعتمد في الصيد على التمويه وسرعة الهجوم للامساك بالفريسة.

ويصف الفارس بعد ذلك الأفعى العربية ذات القرون، كاشفاً عن أن طولها يصل إلى 84 سم، وغالباً ما يكون لونها رمادي أو بني شاحب، هي من الأنواع واسعة الانتشار في الجزيرة العربية باستثناء المناطق الحبلية ووسط الربع الخالي، وتتغذى على الفقاريات الصغيرة والقوارض، وهي من الأنواع الليلية المفترسة، وعندما تشعر بالخطر تدير جسمها على شكل حدوة حصان استعداداً للمواجهة، وتبيض من 4-20 بيضة كبيرة مستطيلة وتتراوح فترة حضانة البيض بين 70 و80 يوماً، ولدغاتها تهدد حياة البشر.

## الأفاعي السامة

ويخصص الفارس الفصل الأخير من كتابه للحديث عن الأفاعي السامة، مؤكداً أن هناك 9 أنواع منها في شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى بعض الأنواع البحرية السامة أيضاً، ومنها منشارية الحراشف، وذات القرون الكاذبة، الأفعى النافخة، والكوبرا العربية، والأفعى السوداء الصحراوية، والأفعى السودانية، والثعابين السام اصفر البطن، وكلها أنواع شديدة السمية، وتعد الكوبرا العربية الأكثر خطورة.

ويشرح للقارئ الآثار المتنوعة لسُموم الأفاعي، موضحة أنها تختلف من نوع لآخر وفقاً للبيئة ونوعية الفرائس، فهناك السموم المؤثرة على الأعصاب وهي التي تسبب تلفاً في الجهاز العصبي للإنسان، والسموم المؤثرة على الخلايا وتؤثر في انسجة وخلايا الجسم وتدمرها خاصة في مكان اللدغة، ثم السموم المؤثرة في الدم وهي الأخطر والأكثر

## أفاعي هوفن

ويسلط الكاتب الضوء في جزء آخر من الكتاب على أفاعي هوفن ذات

تهديداً لحياة الإنسان، وتؤثر في آلية تجلط الدم، بالإضافة إلى السموم المؤثرة في العضلات، وتؤثر على العضلات الناعمة في الجسم وتعرضها للشلل. ويعرج المؤلف بعد ذلك على كيفية المعالجة الأولية لسمم الأفاعي، وناقض حياة من يتعرضون لللدغتها، لافتاً إلى أن هناك 30 ألف شخص يموتون سنوياً بسبب لدغ الثعابين، مؤكداً مدى الحاجة إلى وجود امصال نوعية مضادة لمختلف أنواع سموم الأفاعي المتواجدة في البيئة العربية، مقدماً عدة نصائح للوقاية من شروخ الأفاعي مثل ارتداء أحذية جلدية طويلة عند المشي في المزارع أو الأماكن الصحراوية، والإصغاء التحرش بالأفاعي، والإصغاء لصوت فحيح الثعابين، وربط مكان اللدغ لتأخر سريان السم ناحية القلب، والتأكد من خلو جسم المصاب من الحساسية قبل إعطائه المصل اللازم.

## أعداء الأفاعي

ويختتم المؤلف كتابه بنبرة مختصرة عن أعداء الأفاعي ذات القرون في البيئة الطبيعية، مشيراً إلى أنها تعيش بتوازن مع بقية الأحياء، فكما تتغذى على بعض الكائنات، فهناك كائنات أخرى تتغذى عليها، مبيهاً أن الإنسان ذاته من أشد أعداء الأفاعي، فهو الذي يقتلها بدون استثناء.

ومن ألد أعداء الأفاعي في البيئة الكويتية الكائنات الآتية:

● الورل الصحراوي: وهو من الزواحف، ويألف السهول المفتوحة، والبيئات الرملية في شبه الجزيرة العربية، ويتراقص مع انتشار الضب، ويفترس صغاره، ومختلف أنواع الزواحف.  
● عقاب الحيات: يعد من صغار العقبان، وهو من الطيور الجارحة، وتتخذ الأفاعي ضمن نظام تغذيته، ويعيش في السهول والصحاري العشبية ويمر بالكويت مهاجراً في فصلي الخريف والربيع.  
● غرير العسل: حيوان ثديي شرس من آكلات اللحوم، قوي المخالب، ليلى النشاط، يتغذى على عسوم الزواحف، ومنها الأفاعي يطاردها ما بين شهري سبتمبر وأكتوبر.  
● النمس الهندي: يعد من الثدييات، وهو حيوان متوسط الطول، خشن الشعر، يستوطن البيئات الزراعية بالقرب من التجمعات البشرية، وبارع في مواجهة واقتراض الأفاعي. في النهاية، يبقى القول أن «دليل تصنيف الأفاعي الصحراوية ذات القرون في البيئة الكويتية» مادة علمية ثرية بالتفاصيل والمعلومات الدقيقة عن هذا النوع من الأفاعي، ومؤلف جدير بالقرءة والاهتمام، فضلاً عن أنه إضافة ثرية للمكتبة الكويتية والعربية التي تعاني نقصاً في ذلك النوع من الدراسات.

## ديكسون والأفاعي

من منطلق أن التراث هو مرآة الشعوب ومستودع معارف الناس وثقافتهم، وأن البيئة هي شغل الإنسان الشاغل، فقد خصص المؤلف جزء من الكتاب للحديث عن الأفاعي في التراث الكويتي، موضحة أن المعتمد البريطاني السابع في الكويت هارولد ديكسون تحدث عن الأفاعي في البر الكويتي بشكل عام، والأفاعي ذات القرون بصفة خاصة، مؤكداً أنها كانت تكثر في المناطق الساحلية جنوبي الكويت وشمال الأحساء والقرناء، و«الأفعى منشارية الحراشف» ويقول ديكسون في مذكراته: يسمى عرب الكويت الأفعى «حية» في حين يطلق عليها البدو «داب»، و«كلتا الكلمتين تشير إلى جميع أنواع الأفاعي، مبيهاً أن ضمن الأسماء التي أطلقها البدو على الثعابين «حش» و«هام» و«زاروق» وغيرها.

## ثروة حيوية

وتحت هذا العنوان يستعرض الفارس طرق تربية الأفاعي في حدائق الحيوان حول العالم بغرض الأثارة أو تسليية الجمهور، وكذلك لحمايتها وضمان تكاثرها، والحفاظ عليها من الانقراض، أو لجمع سمومها واستخدامها كإصصال، مثلنا أن الأفاعي ثروة حيوية طبيعية لو احسن استغلالها، مقترحاً إقامة مزرعة خاصة لتربية الأفاعي السامة بالكويت خارج حديقة الحيوان، وتخطط على أساس البيئة الكويتية كأن تفرش بتلال وقرشات من الرمال وتزرع بها شجيرات متناثرة لتأوي إليها الثعابين في الصيف الحار، كما يجب أن تحاط المزرعة بالزجاج أو البلاستيك المقوى حتى لا تعزل تماماً عن الجو الخارجي.



الأفعى ذات القرون في شمال أفريقيا



الأفعى النمر



الأفعى الصحراوية السوداء



الأفعى ذات القرون cerastes



الأفعى ذات القرون تبتلغ أحد الفئران



الأفعى ذات القرون cerastes gasperetti